A picture of the other in Imam Al-Hassan Al-Mujtaba's speech

Dr. Akssam Fayad *

(Received 27 / 10 / 2019. Accepted 2 / 2 / 2020)

□ ABSTRACT □

This research study examines a linguistic issue that belongs to the field of linguistic studies in its persuasive and communicative dimension, and this issue relates to the disclosure of the manifestations of the image of the other "addressed" recipient, and the mechanism of its application to linguistic texts, which are samples from the Imam Al-Hassan Al-Mujtaba's speech, This research also attempts at compromising both sides of the saying: theoretical and practical.

This research deals with the talk about the importance of linguistic and Pragmatics studies and the definition of the theory of reception in its linguistic meaning and idiomatic concept, then moves on to talk about the concept of "addressee other" and their meanings and manifestations in the communicative process, and then the research discusses the image of the other in the speech of Imam Al-Hassan Al-Mujtaba and its number and how it came Consistent with deliberative purposes, it envisages influencing and persuading the addressees within within the directions of the approach of the Imamate and the Prophet hood.

The descriptive and analytical methodology has proved to be the best to Approaching models from the speeches of Imam Hassan Al-Mujtaba ، analyze the processing procedures when studying the linguistic phenomenon، and to unravel the image of the addressee/other from within.

Keywords: Linguistic, reception, speech, pragmatics, Pathos (the image and impressions of the receiver).

* **-Dr. Akssam Ahmad Fayad: a Syrian scholar، specialist in linguistics and phonetics "speech analysis"، has written and publishes many studies and articles، at present works as an Arabic language teacher.**

صورة الآخر في خطاب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)

د. اكسم فياض*

(تاريخ الإيداع 27 / 10 / 2019. قبل للنشر في 2 / 2 / 2020)

ملخّص

يدرس البحث قضيَّةٍ لغويَّةٍ تنتمي إلى حقل الدراسات اللسانيَّة في بعدها الإقناعي التواصلي، وتتعلَّق هذه القضيَّة بالكشف عن تجلِّياتِ صورةِ الآخر "المخاطَب – المتلقِّي"، وآليَّة تطبيقها على نصوصٍ لغويّةٍ، هي نماذج من خطاب الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)، وقد حاول البحث وَضْعَ مقاربةٍ توضِّح جانبي المقولة: النظريّ، والتطبيقيّ.

يتناول هذا البحثُ الحديثَ عن أهمية الدراسات اللسانية والتداولية والتعريف بنظرية التلقي بمعناها اللغوي ومفهومها الاصطلاحي، ثم ينتقل للحديث عن مفهوم "الآخر المخاطَب" ومعانيها وتجلِّياتها في العمليَّة التواصليَّة، وبعد ذلك يناقش البحث صورة الآخر في خطاب الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) وتعددها، وكيف جاءت موافقة لمقاصد تداوليَّة، تتوخَّى التأثير في المخاطَب وإقناعه ضمن توجُّهات نهج الإمامة والنبوة؛ حيث نتلمَّس فنيَّة الإبداع الخطابيِّ للإمام الحسن (عليه السلام) وقدرته على تجسيد صورة الآخر ورصد تحولاتها في العملية الخطابية.

ولعلَّ المنهجَ الوصفيَّ المشفوعَ بالتحليل يكون الأمثلَ في مقاربة نماذج من خطب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، وتحليل العمليَّات الإجرائيَّة في دراسة الظاهرة اللغويَّة، وكشفِ صورة الآخر "المخاطَب" فيها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، التلقي، الخطاب، التداوليَّة، الباتوس (صورة متلقي الخطاب).

* – **د. اكسم فياض باحث سوري، اختصاص لغة عربية– علم اللغة واللسانيات التداولية "تحليل الخطاب"، له عدد من البحوث والمقالات المنشورة في مجلات علمية محكمة، ومشاركات في عدد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية.**

مقدمة:

اللسانيات والتداولية:

شهدَت الدراساتُ اللغويَّةُ تطوُّراً كبيراً منذُ نهايةِ القرنِ التاسعَ عشرَ، إذْ صارَ الاهتمامُ باللغةِ المنطوقةِ مجالاً رحباً يخوضُ فيه الباحثون في علومِ اللغةِ، بعد أنْ كانت علومُ اللغةِ التقليديَّةُ تقتصرُ على دراسةِ اللغةِ المكتوبةِ، ومنذ ذلك الوقت صارت **اللسانيَّاتُ** علماً حديثاً يهتمُّ بإخضاع الظواهرِ اللغويَّة لمناهجِ البحثِ العلميِّ بطريقةٍ موضوعيَّةٍ تتجاوزُ حدودَ الذاتيَّةِ والتخمين التي كانت سائدةً قبل ذلك[1]، فهي العلمُ الذي يدرسُ اللغةَ الإنسانيَّة دراسةً علميَّةً تقوم على الوصفِ، ومعاينةِ الوقائعِ بعيداً عن النزعةِ التعليميَّةِ والأحكامِ المعياريَّة[2]، ويَعُدُّ أغلبُ الباحثين العالمَ اللغويَّ السويسريَّ **فرديناند دي سوسير** المؤسِّسَ الفعليَّ للسانيَّاتِ الحديثةِ، فقد عرَّفَ اللغةَ بأنَّها (كلُّ نظامٍ معيَّن من الإشاراتِ المضاعَفَة، وتُستخدَم في نقلِ رسالاتٍ إنسانيَّة)[3]، فما يجعلُ لكلَّ عنصرٍ من عناصرِ لغةٍ ما هو عليه، وما يحدِّدُ قيمتَه، ويمنحُه هويَّته هي الخصائصُ التي تمايزُه عن غيره داخلَ نظامِ اللغة، وقد ميَّز بين اللغة والكلام Parole & Langue، فاللغةُ (هي النَّسَقُ النحويُّ الذي وجدَ في عقلِ كلِّ متحدِّثٍ تلبيةً لكلِّ المقاصِد والأغراض)[4]. فهي (**نظامٌ** من العلاماتِ)[5]؛ أيْ (إنَّها تقومُ على نوعٍ من التنسيقِ بينَ الصُّورِ السمعيَّةِ والمفهومات)[6]، وبذلك حدَّدَ الوحدةَ اللسانيَّةَ الصغرى التي أطلقَ عليها اسم Signe linquistique ، وأظهرَ مكوناتِها الأساسيَّةَ، وهي الدالُّ signifiant والمدلولُ signifie ، فالدالُّ هو صورةٌ سمعيَّةٌ، والمدلولُ هو تصوُّرٌ لهذا الشيء؛ أمَّا الكلامُ (فهو الجانبُ التنفيذيُّ من اللغةِ الذي يحتوي –.كما ذهب **سوسير**– على التركيباتِ التي يستخدمُ المتحدِّث عن طريقها شفرةَ النسقِ اللغويِّ كي يعبِّرَ عن أفكاره)[7]، ويرى الدكتور **طه عبد الرحمن** أنَّ مجالاتِ الدراساتِ اللسانيَّة، هي:

– الداليَّاتُ: وهي الدراساتُ التي تختصُّ بوصفِ الدالِّ الطبيعيِّ في نُطْقِهِ وصورِهِ وعلاقاتِه، وتمثِّلها دراسةُ الصوتِ والصرفِ والتركيب.

– الدلاليَّاتُ: وهي الدراساتُ التي تختصُّ بوصفِ العلاقاتِ التي تجمعُ بين الدوال الطبيعيَّة ومدلولاتها، سواءٌ أكانت تصوراتٍ ذهنيَّةً أمْ أعياناً في الخارج.

– التداوليَّاتُ: تشمَل الدراساتِ الواصفةَ لعلاقةِ الدوالِّ الطبيعيَّة ومدلولاتِها مع الدالِّين بها[8].

وهنا يكونُ ارتباطُ اللسانيَّاتِ بالتيَّارِ التداوليِّ من حيث إنَّه (مذهبٌ لسانيٌّ يدرُسُ علاقةَ النشاطِ اللغويِّ بمستعمليه، وطرقَ وكيفيَّاتِ استخدامِ العلاقاتِ اللغويَّةِ بنجاحٍ، والسياقَ والطبقاتِ المقاميَّةَ المختلفةَ التي يُنجَزُ ضمنَها الخطابُ، والبحثَ

---

[1] – **ينظَر: قدور، د. أحمد محمد. *مبادئ اللسانيات*. ط مزيدة منقحة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008، ص(16–17).**

[2] – **المرجع نفسه، ص15.**

[3] – **عياشي، منذر. *مقالات في الأسلوبية*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990، ص59.**

[4] – **كللر، جوناثان. *فرديناند دوسوسير" تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات*. د. ط، ترجمة: محمود حمدي عبد الغني، مراجعة محمود فهمي حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص43.**

[5] – **كالر، جوناثان. *النظريَّة الأدبية*. د. ط، ترجمة رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2004، ص72.**

[6] – **عياشي، د. منذر. *الأسلوبية وتحليل الخطاب*. ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 2002، ص21.**

[7] – **كللر، جوناثان. *فرديناند دوسوسير" تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات"*، ص43.**

[8] – **عبد الرحمن، د. طه. *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص28.**

عن العواملِ التي تجعلُ من الخطاب رسالةً تواصليَّة واضحةً وناجحةً، والبحثَ في أسبابِ الفشلِ في التواصُل باللغاتِ الطبيعيَّة)[1]، وهكذا نستنتجُ الارتباطَ الوثيقَ بين اللسانيَّاتِ والتداوليَّةِ، ولعلَّهما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، فتعنى اللسانيَّاتُ النصيَّةُ بدراسةِ أبنيةِ النصِّ المختلفةِ ضمنَ تأثيراتِ وظائفِها، حيثُ تكشفُ عن الخصائصِ المشتركةِ بينَ الأشكالِ اللغويَّةِ وأوجهِ اتِّصاله.

التلقي لغةً واصطلاحاً:

التلقي لغة: جاء في لسان العرب (فلان تلقى فلاناً: أي استقبله، وتلقاه استقبله)[2]، وفي الإنكليزية: (Reception)، أي تلقٍّ أو استقبال، و(to receive): أي تلقى واستقبل وأخذ[3].

يبدو واضحاً أن معاني التلقي في اللغتين متقارب حد التطابق، بيد أن بعداً آخر يضاف إلى التلقي في اللغة العربية؛ أنه يأتي متلازماً مع مفردة أو نص أو شيءٍ (يتلقى شيئاً، أو تلقى كلمة..)، لأن معنى المفردة لا يكتمل إلا بإضافتها إلى ما يصاحبها، ومثالها في النص القرآني: ﴿ فَتلقَّى آدمُ كلماتٍ منْ ربِّهِ فتابَ عليه﴾ سورة البقرة آية (37)، ويستتبع ذلك إيحاءات نفسية وذهنية وعملية وسلوكية تترتب على فعل التلقي، مما يوحي بأن فعل التلقي هو فعل مشاركة وتفاعل مع منتج النص، ولذلك يرتبط التلقي بالتداولية (بوصفها علما يدرس اللغة في مجال الاستعمال)[4].

التلقي اصطلاحاً: يخرج التلقِّي في مفهومه الاصطلاحي عن دلالته المعجميَّة الحرفيَّة ليكتسبَ أبعاداً جديدةً، فهو كما عرَّفه **حجازي:**(مجموعةٌ من المبادئ والأسس النظريَّة التي شاعت في ألمانيا في منتصف السبعينات على يد مدرسة **كونستانس**، تهدف إلى الثورة ضد البنيوية والوصفية، وإعطاء الدور الجوهري في العمليَّة النقدية للقارئ، باعتبار أنَّ العمل الأدبيَّ منشأ حوار مستمرّ مع القارئ)[5]، من هنا يبدو أنَّ فعل التلقِّي يأخذ سمات لا تقتصر على الفعل بذاته، إنما يكوِّن مجموعة من المبادئ الناظمة لعلاقة المخاطَب بالنصِّ الذي يتلقاه، وهذه المبادئ تهدف إلى الاهتمام المطلق بالقارئ، والتركيز على دوره الفعَّال كذات واعية لها النصيب الأكبر من النص وإنتاجه وتداوله، وتحديد معانيه[6]، مما يعني أنَّ الدراسات اللسانيَّة الحديثة لم تعد تُعنى بالنصِّ بوصفه كلاماً فقط، أو بنية لغويَّة ناتجة من عمليَّة ذهنيَّة، وإنما تأثير هذا النصِّ في جمهور ما، ومدى قدرة هذا الجمهور (المتلقي) على التفاعل مع هذا الناتج الإبداعي، وما يتركه في الذائقة من علامات فارقة، أي التعامل مع الرسالة بوصفها **خطاباً** يحمل مقاصد معيَّنة تتوخَّى التأثير في المتلقي ضمن تفاعلات العملية التواصلية.

وتتبني العملية التواصلية على عناصر هي[7]:

---

[1] – **صحراوي، د. مسعود. *التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*. ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص5.**

[2] – **ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، محمد بن منظور. *لسان العرب*. ط1، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، مادة (لقي).**

[3] – **روحي البعلبكي. *المورد، قاموس عربي انكليزي*، دار العلم للملايين، بيروت، 1996، ص365.**

[4] – **صحراوي، د. مسعود. *التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*، ص16.**

[5] – **حجازي، د. سمير سعيد. *قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر*. ط1، دار الآفاق العربية، 2001، ص145.**

[6] – **الرويلي، ميجان و البازعي، سعد. *دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً). ط2*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص282.**

[7] – **عادل، د. عبد اللطيف. *بلاغة الإقناع في المناظرة*. ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2013، ص107.**

- الإيتوس Ethos: هي صورة مُنْتِج الخطاب القائمة على خصال الخطيب وأخلاقه.
- اللوغوس Logos: هو المتعلق بشكل الخطاب "الرسالة" المنذور للاستمالة والتأثير[1].
- الباتوس Pathos: هي المشاعر والأحاسيس والانفعالات المُثارة لدى الجمهور، أيْ سيكولوجيَّة "المخاطَب– المتلقي– الآخر". وهي التي سينبني عليها بحثنا، **فمن هو الآخر؟**

مصطلح الآخر:

يعني هذا المصطلح (أننا إذا وضعنا شخصاً ما أو مجموعة أو مؤسسة في موقع الآخر أو الغير، فإننا نضعه أو نضعها خارج سياق انتمائنا؛ أي خارج سياق انتماء الفرد الذي يضع الشخص أو المجموعة أو المؤسسة في هذا الموضع عرفاً أو طبعاً)[2]، ويقف مصطلح (الآخر) في مواجهة مصطلح (الذات) ضمن ثنائية الإرسال والتلقي، ليعكس خطاباً فكرياً تتحول صوره بفعل السياقات الأيديولوجية الناظمة للعقد التواصلي، وتأثير أنساق قوانين الخطاب.

ومن الجدير ذكره أنَّ "الآخر – المخاطَب– المتلقي" يحضرُ في ذهن مُنْتِج الخطاب في أثناء إعداد النصِّ بصورة متخيَّلة تجعله يستدعي العقد التواصلي، وتوجهات الخطاب الإقناعية، وعناصر التمثيل الثقافي والإيديولوجي والسياسي، وعادات المخاطَب (الشخص العيني) وتقاليده، فيتكيَّف معها، ليرسم صورته ما قبل الخطابيَّة، ويُنْتِج خطابَه على وفق ما يُسَهِّلُ عمليَّة التلقِّي، فهو معنيٌّ (في المقام الأوَّل بالكشف عن مقاصده أو معانيه التداولية التي يروم بها إحداث أثر خارجيّ وفعليّ)[3]؛ أيْ إنَّ طبيعة (الآخر–المتلقِّي) تتدخَّل في بناء إستراتيجيَّة الخطاب لدى المتكلم، فهذا (الآخر– المتلقِّي) يفرض ذاته في سياقات تواصليَّة بما يمتلكه من ردود أفعال تجاه مضمون الخطاب؛ ويمكن أنْ نصطلح عليه **(الباتوس ما قبل الخطابي؛** أي صورة "المخاطَب–المتلقي" قبل الخطاب**).**

كما يحضر " الآخر – المخاطَب–المتلقي" في نصِّ الخطاب وفي أثناء إلقائه، بوصفه المقصود بالخطاب، التي تمثَّل على وفق إستراتيجيَّات المرسِل اندماجاً بين صورة المخاطَب السابقة، وبين صورته المتحققة في النصِّ من خلال المشاعر والانفعالات التي يريدُ المرسِلُ إثارتها في المتلقي، ويمكِن تسميتُها **الباتوس الخطابي،** وبمعنى آخر تكشف الصورة التي ظهر فيها "المخاطَب–المتلقي" في النصِّ، وهنا تؤدِّي اللغةُ تلك المهمَّة متوسِّلةً بوسائلَ إقناعيَّةٍ مختلفة تقوم على الإقناع العقلي والعاطفي والوسائل اللغوية المختلفة إضافةً إلى طريقة الإلقاء والسياق غير اللغوي؛ وتتبني تلك الصورة على وفق أهداف معدَّة سابقاً قد توافق الباتوس "ما قبل الخطابي" أو تخالفه، وذلك بحسب العلاقة بين طرفي التخاطُب، وبحسب الأغراض التي يريدها مُنْتِج الخطاب.

إنَّ هذا المتلقي هو "**الآخر** " الذي يوجَّه إليه الخطاب، ويجدر في هذا السياق أنْ نشيرَ إلى أنَّ مفهوم الآخر يختلف عن مفهوم " **الغير**"، حيث يتَّخذُ مفهومُ "الآخر" معنىً أوسعَ يفيدُ كلَّ ما يختلف عن الموضوع والذات، فيشملُ الاختلافُ

---

[1] – **ينظر: علوش، د. سعيد. *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*. ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985، ص 200.**

[2] – **ينظر: عناني، د. محمد. *المصطلحات الأدبية الحديثة*. ط2، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1997، ص (107– 109).**

[3] – **موريسون، طوني. *صورة الآخر في الخيال الأدبي*. ط1، ترجمة محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2018، ص10.**

مستوى الأشياء، أمَّا مفهوم "الغير" فهو تضييق لمعنى الآخر، حيث يحصره في مجال الإنسان فقط، ويقصد به الناس الآخرين[1].

تأتي مرحلة ثالثة يتمُّ الانتقالُ فيها من تحقُّقِ الخطابِ بوصفه شيئاً مرئياً (حدثاً كلامياً) إلى تحقُّقه بوصفه **معنىً**، وهي ما بعدَ التحقُّق والإنجازِ، أيْ يحضرُ المخاطَب بعد إلقاء النصِّ من خلال ما يمتلكُه من **ردودِ الأفعالِ** المرتبطةِ بالفعلِ الثالثِ التأثيريِّ "لازمِ فعلِ الكلامِ". ويمكنُ تسميَتُها صورةَ المخاطَب بعد سماعِ الخطاب "**الباتوس ما بعد الخطابي**"؛ وهنا يبرزُ دورُ المخاطَب في عمليَّة التخاطُب من خلالَ **وظيفته** التي يقومُ بها عند تلقِّيه الخطابَ، وهي وظيفةُ التأويل، ووظيفةُ التفكيكِ، أيْ تفكيك الرسالةِ اللغويَّة للوصول إلى المعنى، وهو دورٌ إيجابيٌّ من حيث كونُه حاضراً في عمليَّة التركيب التي قامَ بها مُنْتِج الخطاب، ومكمِّلاً لها في الوقت ذاته، وذلك، لأنَّه ليس هناك عمليَّة تخاطُب يتمُّ إنجازها مِنْ دُوْنِ أنْ تمرَّ بمرحلتي **التركيب** و**التفكيك**[2]. وفي هذه الحالة، تتعرض قابليَّة "المرسِل والمتلقِّي" للتأثُّر والتأثير قد ترتبطُ باحتمالاتٍ، هي: الاستجابةُ بصورةٍ كليَّةٍ أو جزئيَّةٍ لمضمونِ الرسالة يترافقُ مع ردِّ فعل إيجابيٍّ، أو رفضُها فقط، أو رفضُ مضمون الرسالة مع ردِّ فعل سلبيٍّ نحوَ المرسِل.

صورة الآخر في خطاب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)

أكّد القرآن الكريم منزلةَ آل بيت رسول الله عليهم السلام، وأنَّهم مطهرون، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ سورة الأحزاب الآية33، وأجمع المسلمون كلُّهم على المنزلة الشريفة المباركة لآل البيت عليهم السلام، والدليل الشرعي لقداستهم عليهم السلام موثَّقة في مصادر علماء السنَّة والشيعة، نذكر من ذلك ما جاء في سنن الترمذي: عن زيد أيضاً قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ إنِّي تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ ﴾)[3]، إنَّها وصيَّةٌ واضحة توجِّه المسلمين إلى التمسك بما يقربهم إلى رضوان الله تعالى، وهما وصيتان متلازمتان لا تنفصلان أكَّد عليهما.

والأئمة المعصومون فرع من الشجرة النورانية المباركة تروحن فيها فيضُ الإمامة والنبوة، حيث توجدُ فيهم طبيعتان متعايشتان تميِّزهم عن باقي البشر، الطبيعة الإنسانيَّة والطبيعة النورانيَّة التواصليَّة، وبموجب هاتين الطبيعتين يحملون توجيهاً إلهيّاً يريدون إيصاله إلى الناس لهدايتهم وإرشادهم، وهذه حال سيِّدنا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، الذي تصدى للانحراف في المجتمع الإسلامي، وأراد الحفاظ على بيضة الإسلام بعد انتقال والده أمير المؤمنين عليه السلام، وسيقوم بحثنا بدراسة بعض الخطب والتعرف على صورة الآخر فيها.

---

[1] – **ينظر: شحاتة، د. حسن. *الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات وإشكاليّات*. ط1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2008، ص17.**

[2] – **يونس علي، د. محمد محمد. *المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية*. ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص155. بتصرُّف.**

[3] – **الترمذي. *سنن الترمذي*، دار الفكر، بيروت، ج 5، ص 329.**

كما ذكر في: *مسند أحمد*: ج3، ص ص (14–17)، وفي ج4، ص(267– 271)، وفي ج 5، ص(182)، وفي ج 5، ص(189).

وذكر في: *المستدرك على الصحيحين* لـ الحاكم: ج3، ص (110–148).

أولاً: خطبة الحسن بن علي عليهما السلام بعد وفاة أبيه[1]:

خطَبَ الحسن بن علي عليهما السلام بعد وفاة أبيه، فنعاه فقال: (لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قتل يوشع بن نون، فتى موسى عليهما السلام، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه، أحدٌ يكون بعده، والله: إنَّ رسول الله ﷺ ليبعثه في السَّريَّة، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم من عطائه، أرداد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى، وبكى الناس معه، ثم قال: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله ﷺ، أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت، الذين أذهب الله الرجس عنهم وطهَّرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه، إذ يقول: ﴿ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حُسناً﴾ سورة الشورى الآية22، فاقتراف الحسنة مودتنا آلَ البيت".

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة، قام عبيد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا وقالوا ما أحبَّه إلينا وأحقه بالخلافة. فبايعوه، ثم نزل عن المنبر.

لقد تعددت صورة الآخر في الخطبة وعلى أكثر من مستوى:

– دلت لفظة " لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن " على وجود مجرم قاتل، جاء بصيغة المخاطب الحاضر، وكأن القاتل مجموعة تعدُّ جزءاً من المخاطبين الماثلين أمام منتج الخطاب "وهو "الباتوس الخطابي"، وتنامت الصورة السلبية للقاتل عندما ذكر أهمية الليلة التي وقع فيها الجرم، بقوله: " ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قتل يوشع بن نون، فتى موسى عليهما السلام". وأهمية المقتول ومنزلته عند الله ورسوله، فيقول: " والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه، أحدٌ يكون بعده، والله: إنَّ رسول الله ﷺ ليبعثه في السَّريَّة، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره". ولكن الآخر في هذا الوضع مخاطَب حاضرٌ شارك في القتل أو تخاذل عن نصرة الإمام المقتول عليه السلام، ومخاطَب غائب تتحقق فيه هذه الصفات.

– أما المقتول –"أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام"– فلم يصرِّح باسمه، ولكن جعل شخصيته تتنامى، وتتعاظم ليعظُمَ معها الجرم الذي قام به القتلة، ولتكون فداحة الجرم الذي ارتكبوه معصية كبيرة جداً، وكذلك حين بين منزلته عند الله ورسوله. ومن جانب آخر ظهرت صورته بوصفه متواضعاً زاهداً في هذه الحياة لم يسع إلى جمع الأموال وكنزها، بقوله: " والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله".

– جاءت شخصية الآخر الإيجابية، أنبياء الله ومقدسون، وهي: "عيسى بن مريم عليه السلام، يوشع بن نون، فتى موسى عليهما السلام" لتكون الأحداث المرتبطة بها مساندة للحدث الجلل الذي قتل فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

– ظهرت صورة النبي محمد ﷺ وهو الرسول النبي المختار من الله سبحانه وتعالى على أكثر من مستوى:

الأول: اعتماده الكبير على أمير المؤمنين، بقوله: "والله إنَّ رسول الله ﷺ ليبعثه في السَّريَّة، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره".

---

[1] – **صفوت، أحمد زكي. *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج2 العصر الأموي. ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، مصر، 1933، ص (1–2).**

الثاني: صلة قرابته بمنتج الخطاب، وهي من الحجاج التساندي الذي يقوّي صورة منتج الخطاب، فيقول: "فأنا الحسن بن محمد رسول الله ﷺ، أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت، الذين أذهب الله الرجس عنهم وطهَّرهم تطهيراً".

– كما ظهرت صورة عبيد الله بن عباس في آخر الخطبة بوصفه أوَّلَ مَن وعى رسالة منتج الخطاب، وقام " فدعا الناس إلى بيعته"،

– طرأ تحوُّل على صورة الآخر الحاضر في مجلس الخطبة "**الباتوس ما بعد الخطابي**"، إذْ تعاطف مع الإمام الحسن عليه السلام، وبكى معه، ثم يُترجَم بكاؤهم إيجاباً حين تنبَّهوا لدعوة ابن عباس، واستجابوا لها، وبايعوا الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة، وجاء في كتاب الجمهرة: " فاستجابوا، وقالوا: ما أحبَّه إلينا وأحقه بالخلافة. فبايعوه، ثم نزل عن المنبر".

ثانياً: خطبة الحسن بن علي عليهما السلام في الحثِّ على الجهاد[1]:

(سار معاوية بجيشه قاصدا العراق، وبلغ الحسن عليه السلام خبره، ومسيره نحوه، فأمر بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادي: الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون، فخرج الحسن عليه السلام وصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "أمَّا بعدُ: فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كُرْهاً، ثمَّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: "اصبروا إنَّ الله مع الصابرين"، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، بلغني أن معاوية بلغه أنَّا كنَّا أزمعنا على المسير إليه، فتحرَّك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنُّخَيْلَة، حتى ننظرَ وتنظروا، ونرى وتروا" – وإنَّه في كلامه ليتخوَّف خذلان الناس له– فسكتوا، فما تكلَّم منهم أحدٌ، ولا أجابه بحرفٍ)

لقد تجلَّت صورة "الآخر" في هذه الخطبة متعدِّدة بين الحضور والغياب، تحكمها علاقة التحضُّر للمواجهة، **وكان ذلك على وفق الآتي:**

– استدعى التوظيف القرآني صورة "الآخر" من أهل الجهاد من المؤمنين، بوصفهم صابرين، ويكون الله مع الصابرين، وتأسيساً عليه يكونون قدوةً للمخاطَب المقصود بالتوجيه الخطابي.

– ظهرت صورة الآخر المخاطَب المقصود بالتوجيه الخطابي بوصفه من أتباع الإمام الحسن عليه السلام، وبما أن القتال كره إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة الآية 216، فقد أظهرت بلاغة الإمام الحسن صورة هؤلاء الأتباع متراخين كارهين للقتال، ويريد منهم أن يتجهزوا للحرب، فيقول لهم: "فلستم أيها الناس نائلين ما تحبُّون إلا بالصبر على ما تكرهون، بلغني أنَّ معاوية بلغه أنَّا كنَّا أزمعنا على المسير إليه، فتحرَّك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنُّخَيْلَة، حتى ننظرَ وتنظروا، ونرى وتروا"، ولعلَّه يستشعر خذلانهم له، وعدم رغبتهم بالوقوف معه، والتحضر لقتال معاوية، والدليل على ذلك ما جاء في السياق غير اللفظي للخطبة، وهو: " وإنَّه في كلامه ليتخوَّف خذلان الناس له– فسكتوا، فما تكلَّم منهم أحدٌ، ولا أجابه بحرفٍ".

– ظهرت صورة الآخر معاوية بوصفه العدوَّ القادم على رأس حملة عسكرية يريد غزو الحسن عليه السلام وأصحابه.

ثالثاً: خطبة الحسن بنِ عليٍّ بن أبي طالب عليهما السلام في ساباط:

(نَزَلَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِب عَلَيْهِم السَّلامُ سَابَاطَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعُوا، فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبَهُم قَائِلاً:

[1] – **صفوت، أحمد زكي. *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج2 العصر الأموي، ص3.**

« الحَمْدُ للهِ كلَّمَا حَمِدَهُ حامدٌ، وأشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كُلَّمَا شَهِدَ لَهُ شَاهِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وائتَمَنَهُ عَلَى الوَحْيِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَو اللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ قَدْ أَصْبَحْتُ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَأَنَا أَنْصَحُ خَلْقِهِ لِخَلْقِهِ، وَمَا أَصْبَحْتُ مُحْتَمِلاً عَلَى مُسْلِمٍ ضَغِيْنَةً، وَلَا مُرِيْداً لَهُ بِسُوْءٍ وَلَا غَائِلَةً، أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرَهُوْنَ فِي الجَمَاْعَةِ خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ. أَلَا وَإِنِّي نَاْظِرٌ لَكُم خَيْراً مِنْ نَظَرِكُم لِأَنْفُسِكُم، فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي، وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي، غَفَرَ اللهُ لي وَلَكُم، وَأَرْشَدَنِي وَإِيّاَكُم لِمَا فِيْهِ مَحَبَّتُهُ وَرِضَاهُ إِنْ شَاْءَ اللهُ».

فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضَهُم إلى بَعْضٍ، وَقَالُوا مَا تَرَوْنَهُ يُرِيْدُ بِمَا قَالَ؟ قَالُوا: نَظُنُّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُصَالِحَ مُعَاوِيَةَ وَيَكِلَ الأَمْرَ إِلَيْهِ، كَفَرَ وَاللهِ الرَّجُلُ، ثمَّ شَدُّوا عَلَى فُسْطَاطِهِ فَانْتَهَبُوْهُ، حَتَّى أَخَذُوا مُصَلَّاهُ مِنْ تَحْتِهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُهُم فَنَزَعَ مُطْرَفَهُ عَنْ عَاتِقِهِ فَبَقِيَ جَالِساً مُتَقَلِّداً سَيْفاً بِغِيْرِ رِدَاءٍ، فَدَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، وَأَحْدَقَ بِهِ طَوَائِفُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَشِيْعَتِهِ، وَمَنَعُوا مِنْهُ مَنْ أَرَادَهُ، وَلَامُوْهُ وَضَعَّفُوْهُ لِمَا تَكَلَّمَ.

فَلَمَّا مَرَّ فِي مُظْلِمِ سَابَاطَ، قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ جَرَّاحُ بنُ سِنَان، وَبِيَدِهِ مِعْوَلٌ، فَأَخَذَ بِلِجَامِ فَرَسِهِ، وَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ يَا حَسَنُ! أَشْرَكَ أَبُوْكَ، ثُمَّ أَشْرَكْتَ أَنْتَ! وَطَعَنَهُ بِالمِعْوَلِ، فَوَقَعَتْ فِيْ فَخْذِهِ فَشَقَتْهُ، حَتَّى بَلَغَتْ أُرْبِيَّتَهُ، وَسَقَطَ الحَسَنُ إِلَى الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الذِي طَعَنَهُ بِسَيْفٍ كَانَ بِيَدِهِ، وَاعتنقه فخرًا جميعاً إلى الأرض)[1].

لقد ظهرت صورة الآخر على وفق ما صوَّره الحسن المجتبى عليه السلام في سياق الخطبة متحوّلةً نامية على وفق الآتي:

– صورة مجموعة من المسلمين التي تحتاج التوجيه والإرشاد لتصلَ إلى معرفة صالحها، ويقف منتج الخطاب بصورته الواقعية والخطابية موقف الموجِّه للمخاطَب والمرشِد له، والعارف بحقِّهم أكثر من معرفتهم، فيقول: "أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرَهُوْنَ فِي الجَمَاْعَةِ خَيْرٌ لَكُم مِمَّا تُحِبُّوْنَ فِي الفُرْقَةِ. أَلَا وَإِنِّي نَاْظِرٌ لَكُم خَيْراً مِنْ نَظَرِكُم لِأَنْفُسِكُم". انطلق الحسنُ عليه السلام من خطابٍ دينيٍّ إسلاميٍّ يُعَدُّ سُلطةً يتعيَّن على المسلمين الخضوعُ لها، فهو (الخطاب الصادر عمَّن له الحقُّ في ذلك وحسب الطقوس المطلوبة، إنَّه الخطاب الذي كان يطبِّق العدالة على مستوى القول، ويعطي لكلٍّ نصيبه، إنَّه الخطاب الذي يعلن– وهو يتنبأ بالمستقبل– لا عمَّا سيقع فقط، بل يسهم في تحقيقه، ويحمل معه إسهام الناس ملتحماً بذلك مع المصير)[2]، وهنا حرص الخطيب من خلال سلطته خارجَ النص وداخلَه، على توجيه يُقْنِع به المخاطَبين بمقاصده، ويجعلهم يتقبَّلون وضعيَّةً اجتماعيَّةً دينيَّةً سياسيَّةً جديدةً، إذْ دعاهم إلى التسليم بما أمرَ به، وإلى المصادقة على رأيه في معطيات المصالحة بين المسلمين.

– أظهرت معطيات السياق الواقعي –" فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضَهُم إلى بَعْضٍ، وَقَالُوا مَا تَرَوْنَهُ يُرِيْدُ بِمَا قَالَ؟ قَالُوا: نَظُنُّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُصَالِحَ مُعَاوِيَةَ وَيَكِلَ الأَمْرَ إِلَيْهِ، كَفَرَ وَاللهِ الرَّجُلُ، ثمَّ شَدُّوا عَلَى فُسْطَاطِهِ فَانْتَهَبُوْهُ، حَتَّى أَخَذُوا مُصَلَّاهُ مِنْ تَحْتِهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُهُم فَنَزَعَ مُطْرَفَهُ عَنْ عَاتِقِهِ فَبَقِيَ جَالِساً مُتَقَلِّداً سَيْفاً بِغِيْرِ رِدَاءٍ، فَدَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، وَأَحْدَقَ بِهِ طَوَائِفُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَشِيْعَتِهِ، وَمَنَعُوا مِنْهُ مَنْ أَرَادَهُ، وَلَامُوْهُ وَضَعَّفُوْهُ لِمَا تَكَلَّمَ " – تحوَّل صورة الآخر نحو السلبية المطلقة، إذْ أباح المخاطَبون لأنفسهم التدخُّلَ في الخطاب والتطاولَ على الخطيب، وسَادَ جوٌّ من التوتُّر والانفعال السلبيِّ انتهى بسلوك عدوانيٍّ نحو المرسِل "الخطيب"، وعمَّت حالة من الفوضى والغوغاء تجاوزت الأعراف الاجتماعيَّة السابقة التي أسَّس لها العقد الاجتماعيُّ الإسلاميُّ، ووَصَلَ الوضعُ المتأزِّم بالمخاطَبين – ولاسيَّما أنَّهم حشدٌ جماهيريٌّ غيرُ منظَّمٍ ينتمي

[1]– صفوت، أحمد زكي. *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج2 العصر الأموي، ص ص(4–5).

[2]- يُنْظَر: فوكو، ميشيل. *نظام الخطاب. د.ط* ، ترجمة د. محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2007، ص12.

أفراده لفئات اجتماعيَّة مختلفة – إلى ما يمكن تسميته في علم النفس **بؤرة الفساد السلوكيَّة**[1]، إذْ تحكمُ ردود أفعال المتلقِّي "المخاطَب" على نجاح الرسالة التواصليَّة أو فشلها، ولذلك لا يُقاس نجاح عمليَّة الاتِّصال بما يقدِّمه المرسِل، ولكن بما يقوم به المستقبِل سلوكيّاً، ويُقصدُ به تلك الردود التي يبديها المتلقِّي بعد تلقِّيه الرسالة الخطابيَّة مباشرة " رجع الصدى" سواء بالقول أو الفعل أو الحركة[2]؛ فلم يحترم المخاطَبون مقام الخطيب ولا صورته السابقة، **وتدهورت قدسية السلطة** التي كان يتمتع بها الخطيب قبل الخطبة وأثنائها، و**انخفضت رهبة المنبر**، وبهذا السلوك الذي قام به المخاطَب يكون الحسن ﷺ قد كُسِرَ أفق توقُّعه، لأنه لم يكن يتوقَّع أنَّ ردَّ الفعل على مضامين خطابه قد يودي به إلى هذا الموقف، وهنا حدث – ما سبق واقترحته كمصطلح جديد في الدراسات اللسانية– كسْرُ أفق التوقُّع الراجع أو "المرتد"، الذي نجم عن تبادل أدوار كسرِ أفقِ التوقُّع بين مقام الإرسال والتلقي.

– ظهرت شخصية جَرَّاحُ بنُ سِنَان مثالاً من ذلك الحشد الغوغاء الذي أظهر ردَّ فعل سلبي جداً تطاول فيه على الإمام الحسن ﷺ بلسانه ويده، إذْ إنَّه ضرب الإمام بمعولٍ كان بيده وآذاه، فكان ابن سنان صورة للفاجر الذي تطاول على الخليفة صاحب مقام الإمامة ووريث النبوة.

رابعاً: خطبة الحسن بنِ عليٍّ بن أبي طالب عليهما السلام بعد الصلح[3]:

روى المدائني، قال: سأل معاوية الحسن بن علي عليهما السلام بعد الصلح أنْ يخطبَ الناسَ، فامتنع، فناشده أن يفعلَ، فوُضِعَ له كرسيٌّ فجلس عليه، ثم قال: "الحمد لله الذي توحَّدَ في ملكه، وتفرَّد في ربوبيته، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء، والحمد لله أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم. أيُّها الناس: إنَّ ربَّ عليٍّ كان أعلم بعليٍّ حين قبضه إليه، ولقد اختصَّه بفضل لم تعتدوا مثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات، طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم، وهو صاحبكم وعدوُّكم في بدر وأخواتها، جرَّعكم رَنَقاً، وسقاكم علقاً، وأذلَّ رقابكم، وأشرقكم بريقِكم، فلستم بملومين على بغضه، وايم الله لا ترى أمَّة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتُهم بني أميَّة، ولقد وجَّه الله إليكم فتنة لن تَصدُروا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أَحْتَسِبُ ما مضى، وما ينتظر من سوء دَعَتكم، وَحَيْف حكمكم، ثم قال:

"يا أهل الكوفة، لقد فارقكم بالأمس سهمٌ من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكَّالٌ على فجَّار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسَّروقة لمال الله، ولا بالفَرُوقَة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته"، ثم نزلَ.

فقال معاوية: أخطأَ عَجِلٌ أو كاد، وأصاب متثبِّت أو كادَ، ماذا أردتُ من خطبة الحسن؟).

---

[1] – يُنْظَر: تي هول، إدوارد. *البعد الخفي*. ط1، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، مراجعة وتدقيق لغوي محمد الزواوي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص ص(37–38).

[2] – يُنْظَر: إمام، إبراهيم. *الإعلام والاتصال بالجماهير*. ط3، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، مصر، 1984، ص75.

[3] – صفوت، أحمد زكي. *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج2 العصر الأموي، ص ص(6–7). شرح المفردات: رنق: كدر، البلاء يحمل معنيين منحة ومحنة، وهنا بالمعنى الأول. العلق: الدم، ودويبة في الماء تمصُّ الدم. الطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان، وكل رأس ضلال، انضواؤكم: انضمامكم، الحيف: الظلم، الفروقة: شديد الفزع.

يُظْهِرُ سياقُ إنتاج الخطبة رغبة معاوية في تثبيت ولايته ليعلنها الإمام الحسن عليه السلام على المَلَأ، وهنا تتعدد صور الآخر في فضاء الخطبة:

– ظهر الآخر في خطاب الإمام الحسن عليه السلام مرتبطاً ارتباطاً جوهريا بآل البيت عليهم السلام، فمن هؤلاء المخاطَبين مؤمنٌ أكرمه الله بآل البيت عليهم السلام، بوساطة رسالة الإسلام التي أخرجت آباءهم من الشرْكِ، وكذلك جاء موقف الإمام حين صالح معاوية، وتمَّ بذلك حقن دماء المسلمين، ثم يبيِّن أنَّ لهذا الآخر عطاءً مستمرّاً يقدِّمه آل البيت قديماً وحديثاً، وبذلك يكون الآخر مَدِيناً لآل البيت الذين تفضَّلوا عليه، فيقول الحسنُ عليه السلام: "والحمد لله أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أوَّلكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إنْ شكرتم أو كفرتم".

– بعدَ ذلك تتامت صورة الآخر سلباً، ولكنها مرتبطة بوقائع ماضية، فظهرَ الآخر "الحاضر والغائب" دلَّ عليه لفظ "أيُّها الناس"، مناوئاً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عدوّاً باغضاً له، وقد ظهر الآخر منكسراً مهزوماً أمام أمير المؤمنين في معركة بدر وأخواتها، تجرَّع الكدر والدماء والذلَّ، ولذلك يسوِّغ لهم الإمام الحسن عليه السلام بغضهم له، بعد أنْ مرَّغ أنوفهم بالأرض.

– يتابع الإمام الحسن ليصوِّر لنا بفنيَّة وحِرَفيَّة صورَ المخاطَب في الزمن الحاضر، فيجلوها بائسةً تتخبَّط في فتنة نهايتها الهلاك، جلبوا هذه الفتنة حين اتَّبعوا طريق الشيطان بطاعتهم للطواغيت ورؤوس الضلال، وانضمامهم إليهم، ويبيِّن الإمام أنَّ حكمهم ظالم في طريق الضلال الذي اختاروه، فيقول: "وايم الله لا ترى أمَّة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتُهم بني أميَّة، ولقد وجَّه الله إليكم فتنةً لن تَصدُروا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أَحْتَسِبُ ما مضى، وما ينتظر من سوء دَعَتكم، وَحَيْف حكمكم".

– في الجزء الأخير من الخطبة يخصَّصُ خطاب "الآخر" بأهل الكوفة، مذكِّراً إيَّاهم، بأمير المؤمنين علي عليه السلام ومناقبه العظيمة، ليبيِّن لهم أنَّهم فقدوا ناصراً لهم على أعدائهم، ومن جانب آخر يستحضر انتصارات أمير المؤمنين عليه السلام على أعداء الله، فجاءت صورة فجَّار قريش مهزومين نكَّل بهم، وكتم أنفاس فجورهم، فيقول: "يا أهل الكوفة، لقد فارقكم بالأمس سهمٌ من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكَّالٌ على فجَّار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسَّروقة لمال الله، ولا بالفَرُوقَة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته".

الاستنتاجات والتوصيات

توصَّل البحث إلى مجموعة من النتائج نفصلها على وفق الآتي:

– الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أوَّل الأئمَّة الوارثين للنبوَّة والإمامة، توجدُ فيه طبيعتان متعايشتان تميِّزه عن باقي البشر، الطبيعة الإنسانيَّة والطبيعة النورانيَّة التواصليَّة، وبموجب هاتين الطبيعتين يكون كلامه فصل الخطاب يوجِّه الناس، ويعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، حيث نتلمَّس فنيَّة الإبداع الخطابي وحِرَفيَّته في بناءٍ بلاغيٍّ لصورة الآخر بما يوافق توجُّهات الشريعة ومقاصدها، وسياق الأحداث التي أُنتجت فيها الخطابات.

– تعدُّدُ حضور الآخر في خطاب الإمام الحسن عليه السلام، بدءاً بصورة "الآخر" من أهل الجهاد من المؤمنين، بوصفهم صابرين، ويكون الله مع الصابرين، وتأسيساً عليه يكونون قدوة للمخاطَب المقصود بالتوجيه الخطابي.

– ظهر "الآخر" بشكلٍ عامٍّ في خطاب الإمام الحسن عليه السلام مرتبطاً ارتباطاً جوهرياً بآل البيت عليهم السلام، فمن هؤلاء المخاطبين مؤمن أكرمه الله بآل البيت عليهم السلام، بوساطة رسالة الإسلام التي أخرجت آباءهم من الشرك، وكذلك جاء موقف الإمام حين صالح معاوية، وتمَّ بذلك حقن دماء المسلمين، ثم يبيِّن أنَّ لهذا "الآخر" عطاءً مستمرّاً يقدِّمه آلُ البيت قديماً وحديثاً.

– تعدُّ صورة "الآخر" لبعض الموالين لقضيَّة الإمام الحسن عليه السلام من الصور التي أظهرَها الإمام، فإلى جانب بعض المخلصين الذين بايعوه بالخلافة، ظهرَ الآخر متراخياً في ولائه (مظهِراً نفاقه)، وتعرضت صورتهم للعكس والتحوير سلباً حين تخاذلوا عن نصره، وتحوَّل بعضهم من خلال بؤرة الفساد السلوكية إلى حشود غوغاء، تطاولوا على الإمام بالكلام، ثم تمادَوا، ونهبوا فسطاطه ومصلَّاه، وكاد أحدهم يقتله في "ساباط".

– أبدعت بلاغة الإمام الحسن عليه السلام في كشف صورة "الآخر" بفنيَّة وحرفيَّةٍ، من خلال زمنين متعالقين:

أولهما: تنامي صورة الآخر سلباً مرتبطة بوقائع ماضية، فظهرَ الآخر "الحاضر والغائب" مناوئاً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عدوّاً باغضاً له، وقد ظهر هذا "الآخر" منكسراً مهزوماً أمام أمير المؤمنين في معركة بدر وأخواتها، تجرَّع الكدر والدماء والذلَّ، ولذلك يسوِّغ لهم الإمام الحسن عليه السلام بغضهم له، بعد أنْ مرَّغ أنوفهم بالأرض.

أمَّا الثاني: صورة "الآخر" في الزمن الحاضر، فيجلوها بائسةً تتخبَّط في فتنة نهايتها الهلاك، جلبوا هذه الفتنة حين اتَّبعوا طريق الشيطان بطاعتهم للطواغيت ورؤوس الضلال، وانضمامهم إليهم، ويبيِّن الإمام أنَّ حكمهم ظالم في طريق الضلال الذي اختاروه.

– يُحسَبُ للإمام الحسن عليه السلام جرأته في كشف صورة الآخر، ورصدِ تحولاتها ومفاتحتهم بها ووصفهم بالتخاذل والانضواء تحت راية الضلال والشياطين، فيقول الحقَّ؛ ولا يخشى لومة لائم في قوله هذا، ويدلُّ ذلك على ثقته عليه السلام بعناية إلهية تخلِّص الأرض من هؤلاء الطغاة، وتعطينا دروساً تفيدنا في مواجهة رموز الاستكبار والطغيان في عصرنا الحالي مهما امتلكوا من القوة.

– تعدُّ خطابات الإمام الحسن عليه السلام مرجعاً غنيّاً يؤرِّخ لنا تفاصيل تعاملاته مع الناس في تلك المرحلة الحرجة المفصلية من تاريخ الإسلام، فتكون دروساً قدوة تستفيد منها الأجيال في صناعة خطاباتها الإقناعيَّة، ولذلك، فهي حقلٌ غنيٌّ يمكن للباحثين الخوض فيه بما يعود بالفائدة على الدراسات التواصليَّة الحديثة.

References:

- The Holy Quran

1- Ibn Hanbal, Abo Abdalah Ahmad Ibn Hanbal Al-Shebanee (e). *Mosnad Al Imam Ahmad Ibn Hanbal*, 1st e.d., investigation of Shoaib Arnaout, and Adel Morshed and others, al-Risaleh Institution, Beirut, 1421 AH-2001.

2- Ibn Manzour, Jamal Al-Deen Ab Al- Fadl Mohammad. *Tongue of Arabs*. 1st e.d., investigation Amer Ahmad Haiedr, Dar Scientific Books, Beirut, 2005.

3- Imam, Ibrahim, *Media and Communication with the Masses*. 3rd e.d., The Anglo Egyptian Library, Cairo, Egypt, 1984.

4- Al- Tirmidhi, Muhammad Ibn Isa Surah Ibn Musa Al-Dahak (279e). *Sunan Al-Tirmidhi*. Investigation Bashar Awad Maarouf, Dar Islamic of The West, Beirut, 1998.

5- T. Hall, Edward. *The Hidden Dimension*. 1st e.d., Translation Lames Foad Al- yahea, A review and Proofreading of Muhammad Zawawi, Al- Ahleah for Printing and Publication and distribution, Amman, Jordan, 2007.

6- Hegazy, Samir Saeed. *A Dictionary of Contemporary Literary Criticism*. 1st e.d., Dar Al- Afaq Al-Arabya, 2001.
7- Rawhi Al-Baalbaki. *Al-Mawred, Arabic- English Dictionary*, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, 1996.
8- Al-Ruwaili, Megan and Al-Bazei, Saad. *Literary Critic's Guide (Ligting for more than seventy current and current monetary term*). 2nd e.d., Arab Cultural Center, Casablanca, 2005.
9- Shehata, Hassan. *The Self and Other in the East and the west: Images, Implications and Problems*. 1st e.d., Dar Al-Alem Al-Arabi, Cairo, Egypt, 2008.
10- Sahrawi, Masoud. *Pragmatics among Arab scholars, a Pragmatics study of the phenomenon of verbal actions in the Arab linguistic heritage*. 1st e.d., Dar Al-Taleea for Printing and Publishing, Beirut, 2005.
11- Safwat, Ahmed Zaki. *The Jamharat Rectories Arabs in the ages of the Prosperous Arab*. 1st e.d., Part 2 Umayyad Era, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press, Cairo, Egypt, 1933.
12- Adel, Abd Al-Latif. *Rhetoric of Persuasion in the Debate*. 1st e.d., publications of difference, Algeria, 2013.
13- Abdul Rahman, Taha. *On the Origins of Dialogue and Renewal of Speech Science*. 3rd e.d., The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 2007.
14- Alloush, Saeed. *Glossary of Contemporary Literary Terms*. 1st e.d., Lebanese Book House, Beirut, 1985.
15- Anani, Mohamed. *Modern Literary Terms*. 2nd e.d., Egyptian International Publication, Longman, Cairo, Egypt, 1997.
16- Ayashi, Munther. *stylistic and Discourse Analysis*. 1st e.d., Center for Civilization Development, Aleppo, Syria, 2002.
17- Ayashi, Monther. *Essays in Stylistic*s, Union of Arab Writer, Damascus, Syria, 1990.
18- Foucault, Michel. *The Discourse System*. 1st e.d., translated by Dr. Mohamed Sabila, Dar Al-Tanweer for Printing Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 2007.
19- Kaddour, Ahmad Muhammad. *Principles of Linguistics*. edited more revised, Dar Al-Fikr, Damascus, Syria, 2008.
20- Clair, Jonathan. *Ferdinand Dosocer " Rooting for Modern Linguistics and the the Science of signs"*, translation: Mahmoud Hamdi Abdel-Ghani, review by Mahmoud Fahmy Hijazi, Supreme Council of Culture, Cairo, Egypt, 2000.
21- Morrison, Tony. *The Picture of the Other in Literary Fiction*.1st e.d., translated by Mohammed Mishbal, Dar Konoz Al-Marefa for Printing and Publishing, Amman, Jordan, 2018.
22- Al-Nisaburi, Abu Abdullah Al-Hakim Muhammad bin Abdullah, known as Ibn Al-Albiah. *AL- Mostadrak over the Sahehain*. 1st e.d., Investigation: Mustafa Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, 1411AH-1990AD.
23- Younis Ali, Muhammad Muhammad. Meaning and Shades of Meaning: Significant Systems in Arabic. 2nd e.d., Dar Al-Madar Al-Islami, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 2007.